

نظريّة الملاعنة والخطاب

لحسن بوتكلاي*

مقدمة

على الرغم من أن التواصل يتم في إطار الخطاب عامّة، كما هو مُقرّر في تحليل الخطاب واللسانيات النصيّة وأصبح مقبولاً على نطاق واسع في وقتنا الحاضر، فإن دان سبيربر Dan sperber وديدرد ويلسون Deirdre Wilson تغاضياً عن الخطاب إلى حدٍ ما. بخلٌ تحليلاتهما - كما يبدو من قراءة مؤلفهما - لا تتجاوز مستوى القضية⁽¹⁾. لقد ركزا على المفهوم فقط، وجعلوا أمثلتهما في الغالب جُملاً مفردةً. ثم إنّهما لم يتناولا مسألة انسجام الخطاب في عملهما العمدية⁽²⁾ إلا قليلاً، وذلك ضمن هامشٍ عَبْرا فيه عن تبعية مفهوم الانسجام للملاعنة: "يمكن تبيان أن الاتساق والانسجام مقولتان متفرعتان في نهاية المطاف من الملاعنة"⁽³⁾. كما أشارا إلى أن الملاعنة علاقة بين القضايا، فـ"كُونُ ذلك أرضية لانسجام، يقولان: "تبني ملاعنة المفهوم نسبياً على قائمة من المعتقدات والافتراضات، أي مجموعة من القضايا. إن الملاعنة علاقة بين القضية التي يعبر عنها المفهوم من جهة أولى، وقائمة من القضايا التي يمكن بلوغها في ذاكرة المستمع من جهة ثانية"⁽⁴⁾.

لكن، هل الخطاب وحدة بنوية تُدرس كأُلدَرس الجملة، أم سياق اجتماعي، أم تمثلات ذهنية موضوعة لفهم؟ وإذا افترضنا -بحسب أنصار نظرية الملاعنة- أن الخطاب فهمٌ، فعلى أي أساس يقوم هذا الفهم؟ هل يقوم على الانسجام أم على الاتساق أم على الملاعنة؟

وما طبيعة الصلات القائمة بين هذه المفاهيم: هل الانسجام فرع تابع لملاءمة ، أم أن الملاعنة هي التي تشكّل أرضية للانسجام، وهل يقوم الانسجام على الاتساق أم هو مستقل عنه؟
سعى الباحثان السويسريان جاك موشلار وأن روبيول في كتابهما "تداویة الخطاب": من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب⁽⁵⁾ إلى الإجابة عن هذه الأسئلة المتراطبة، مدافعين عن أطروحة مفادها أننا لسنا في حاجة إلا إلى نظرية واحدة تكفل بفهم الملفوظ والخطاب، وهي نظرية الملاعنة لأنها تغنينا عن بناء نظريتين: إحداها تختص بالملفوظ، وثانية تتناول ما يتصل بالخطاب. لكنهما ليسا أول من طبع نظرية الملاعنة على الخطاب، ولا أول من انتقد تحليل الخطاب ومقاربات الانسجام، وإنما سبقت عملهما دراسات وأبحاثً منذ صدور كتاب "نظرية الملاعنة: المعرفة والتواصل" سبيربر وويسون⁽⁶⁾. وأكتفي هنا بعرض آراء دارستين بارزتين حازتا قصب السبق في إعمال هذه النظرية على مستوى الخطاب، وهما ديان بلاكمور Diane Blakmore وريجينا بلاص Regina Blass⁽⁷⁾. فما القاسم المشترك بين تحليليهما؟ وما تأثير نقديهما مُقاربات تحليل الخطاب في الدراسات التي دعت إلى التخلي عن تحليل الخطاب ودمجه في التداویة؟

1. الانسجام فرعاً من الملاعنة: ديان بلاكمور

سعَتِ الباحثةُ الأمريكية ديان بلاكمور إلى إنشاء مقاربة نظرية ملائمة للانسجام، على أساس القضية التي تُحدَّدُ بأنها "سلسلة مُبنَّية من المفاهيم"⁽⁸⁾. وواصلت في هذا الاتجاه مقترنات سبيربر وويسون، وقاربت الخطاب - حضراً - من منظور سيرورة تصاعدية. وبعبارة أوضح، لقد سعْتَ إلى استكشاف "كيف تَصْنَع سلسلةً من الملفوظات خطاباً؟

1.1. نقد دعوى الانسجام

لتحقيق هذا المسعى، أقامت بلاكمور الصلةَ بين الاتساق والانسجام والملاعنة على نهج سبيربر وويسون، تقول: "يتَأسَّس تفسير إسهام الشكل اللغوي في تأويل الخطاب على تفسير

الانسجام الذي يُعدُّ بدوره مبنياً على استحضار قيمة الملاءمة⁽⁹⁾. وترى بلاكمور أنَّ الانسجام مصدرٌ أساسيٌّ لما يجعل النصوص نصوصاً. ومع ذلك فهناك تناقضاتٌ فيما يتعلق بمصدر النصية هذا. ومن ثُمَّ، لا تخلو المقاربات الأولى للانسجام -في نظرها- من بعض المشكلات، من بينها⁽¹⁰⁾:

أولاً، الافتقار إلى أرضية سيكلولوجية ينبغي عليها تفسيرُ مبادئ تنظيم الخطاب ومعالجته؛ ثانياً، عدم وضوح الطرق التي تُنشأ بها علاقاتُ الانسجام، ويختارُ بها السياقُ المناسب؛ ثالثاً، لا يمكن أن يُحصرَ الانسجامُ في إنشاء صنافةٍ نهائيةٍ من العلاقات الدلالية، وإنما يجب أن يشمل العوامل التي تجعل المتكلم يختار الوصل بين المفظات بتلك العلاقات؛ رابعاً، غيابُ تخصيص الصلة بين الانسجام وموضوع (Topic) الخطاب⁽¹¹⁾.

وقد صنفتِ بلاكمور مقارباتِ تحليل الخطاب في مقالٍ لها بعنوان "الخطاب والملاءمة"⁽¹²⁾ إلى فرعينِ رئيسينِ:

أ- المقاربات البنوية، التي تعتبرُ الخطابَ وحدةً بنويةً تدرسُ كاً تدرسُ الجملة. وفي إطار هذه المقاربات أدرجت الباحثة تحليلَ الخطاب الذي ينكبُ عموماً على الكيفية التي تتألفُ بها الجملُ لتكوين النصوص، اقتداءً بال نحو الذي يستقرِّيء القواعد التي بها تتآلفُ الكلماتُ لإنشاء الجمل. وترجعُ بلاكمور هذه المقاربات على اختلاف مشاربها إلى التقليد الذي وضع لبناته الأولى زيليغ هاريس Zellig Harris في مقاله المشهور "تحليل الخطاب Discourse analysis" (1951). وهو تقليدٌ يستحضر مفهومَ الجملة بشكل أو باخر.

ب- المقاربات الوظيفية التي تنظر إلى الخطاب باعتباره سلوكاً اجتماعياً تتعين دراسته في بعده الوظيفي، أي باستحضار العلاقات بين المخاطبين، والسياساتِ والمقاماتِ التي تُنبعُ فيها الخطاباتُ و/أو تُتلقى فيها.

يُيد أن الاختلافات بين هذين المنظورين -في نظر ديان بلاكمور- تظل ظاهريّة وسطحيّة، حيث يَبَيِّنْتُ أن المنظور المارسي والرؤيّة الوظيفية يشتراكان في أمرٍ جوهريٍّ هما: أولاً- كل منهما يدرس شيئاً يوجد خارج اللغة، أي ما سماه شومسكي باللغة الخارجيّة (External Language) عن الذهن البشري. كما أن الرؤيّة الوظيفية للخطاب-إذ تذهب إلى أن دراسة الخطاب تتجاوز دراسة خصائصه البنويّة إلى دراسته بوصفه سلوكاً اجتماعياً- تؤول بدورها إلى ظاهرة تُحدّد باستقلال عن الذهن البشري.

ثانياً- بحث كلتا المقاريبتين عن القواعد والمواقعات والمعايير، فالمقارب البنويّة تستهدف اكتشاف القواعد التي تجعل النصّ نصاً نحوياً ومحكم التأليف، والمقارب الوظيفية تستهدف اكتشاف المواقعات الاجتماعيّة التي تجعل النصوص مقبولةً.

وتستنتج بلاكمور في المقال نفسه أن الخطاب "إذا كان يُحدّد من هذين المنظورين بذلك المعنى، فإن منظري الملاعمة لا يدرسوه البتة؛ لأن موضوع الدراسة عندهم لا يتمثل في الخطاب، سواء أحدهما باعتباره ظاهرة بنويّة، أم بوصفه ظاهرة اجتماعية، وإنما يتمثل في فهم الخطاب، وبصفة خاصة التثيلات والعمليات الحسابية الذهنية الثاوية خلف فهم المفظات. وبعبارة أخرى، فإن ما يشغل منظري الملاعمة هو ما يقع داخل الذهن البشري" ⁽¹³⁾.

إن نظرية الملاعمة، بناءً على تحليل بلاكمور، تتناول الخطاب باعتباره لغة باطنية (Internal language). وهي بذلك، تُغيّر مجال البحث وبرنامجه تغييراً تاماً، وتضع أهدافاً أخرى مغايرةً تتمثل في استخلاص العمليات التي نوظفها لفهم النصوص وتأويتها، أي أنها تنظر إلى الخطاب باعتباره سيرورة وإجراءً، لا باعتباره مُنتجاً نهائياً. وعلاوة على ذلك، تستخلص أن هذه النظرية لن تعنى بالجانب الشكليّة البنويّة الخاصة بالخطاب (لا جدوى من البحث عن القواعد والمبادئ المتحكمة فيه، بل لا وجود أصلاً لهذه القواعد)، ولن تعنى أيضاً بالأبعاد

الاجتماعية (لا جدوى من البحث عن علاقات الانسجام التي تضمن مقبولية النصوص وتداولها في المجتمع)؛ فبدأ الملاعنة يكفي لتفسير كيفية فهم النصوص وتلقّيها. ترى بلاكمور علاوة على ذلك، أن تعرُّف علاقات الانسجام انطلاقاً من صنافة معينة ليس كافياً ولا ضروريَا لتأويل الخطاب أو فهمه. ولا يقتصر الأمر على وجود صنافات مختلفة، بل الأكثر من ذلك، ييدو أن المتكلمين يمكن أن يتعاملوا مع معنى الخطاب دون إدراك التصنيفات الموجودة للانسجام أو حتى بالاستئناس بها.

وهناك سبب آخر يجعل صنافة علاقات الانسجام غير كافية ولا ضرورية؛ ويتعلق بأن الانسجام لا يقوم على الاتساق، بل هو مستقل عنه استقلالاً يتربّ عليه أن البحث عن مثل هذه الصنافات غير مناسبٍ، بل ولا جدوى منه.

2. 1. من الانسجام إلى الملاعنة

أكَّدتْ بلاكمور أن الباحثين في مقاربات الخطاب درسوا قضية الانسجام، إما باتصالها بالنصية أو بالفهم. فأما ما يتعلق بالنصية، فمن الثابت أن الانسجام يستلزم التماسك في المحتوى الدلالي والتداولي على السواء. وقد دافع عن هذه الرؤية دفاعاً مستميتاً باحثون، مثل جيري هويس J.R. Hobbs⁽¹⁴⁾ الذي قارَب علاقات الانسجام بوصفها "استراتيجيات لبناء النص-Text building strategies"⁽¹⁵⁾، يُمْكِنُ أن يَتَعرَّفُها مُستعمِلُو النصِّ انطلاقاً من بنية الخطاب. ومع ذلك، فهويس الذي اقترح مجموعةً من علاقات الانسجام، يُقرُّ بأن إنشاء مثل هذه الصنافات أمرٌ اعتباطيٌّ يكتنفه الغموض⁽¹⁶⁾. وترى بلاكمور أن مقاربتَه هاته يُعوِّزُها تعريف دقيق للسياق، كما تفتقرُ إلى تحديد طبيعة العلاقة بين النص وسياقه المخصوص.

أما ما يخص العنصر الثاني، فترفض بلاكمور كذلك إقامةَ الصلة بين الانسجام والفهم، تلك الصلة التي شدَّدَ عليها باحثون مثل هويس نفسه أو شارول (1983) أو براون وويل (1983)، على أساس أنهم لا يستطيعون تفسير تلك الحالات من الجمل المفردة أو الجملة الأولى

من الفقرات أو النصوص. والسبب في نظرها أن مقارباتِهم تميل إلى الإعلاء من شأن الانسجام في التأويل، وتفترض أنه في حالات لبس الملفوظ دلالياً، يختارُ التأويلُ الذي ينسجم مع سياق الملفوظات السابقة له.

إن الجمل المفردة -في نظر بلاكمور- يجب أن تؤول وتعاجَـ باتباع المبادئ نفسها التي تُطبق على أي نوع آخر من النصوص. ولا يمكن القول-إضافة إلى ذلك- إن هذه الجمل يجب أن تؤسس على علاقات الانسجام. وتسنّج الباحثة من هذه المعطيات أن الانسجام علاقة تنشأ بين الوحدات اللغوية، أي الملفوظات أو القِطْع الخطيّة، في حين أن الملاعنة تقوم بالأساس بين القضايا التي تعبّر عنها تلك الملفوظات.

لا يختلف تحليل آن روبل وجاك موشلار في نقدّهما تحليل الخطاب⁽¹⁷⁾، عن تحليل بلاكمور التي قدّمتُ حُجَـاً على أن نظرية فهم الخطاب، إن أُسِـست على نظرية الانسجام فقط، ليست سوى أداة لاستكشاف حذّـنا عن هذا الانسجام؛ تقول بلاكمور: "إن مفهوم الانسجام مشتقٌ، وبصيغة أخص، يمكن اعتباره نتيجةً لبحث المستمع عن التأويل المنسجم مع نظرية الملاعنة"⁽¹⁸⁾. وتوضح الباحثة عدم الجدوى من استقصاء علاقات الانسجام مؤكدةً: "أنَـ حذّـنا عن المقبولية التداولية لا تتأثر بشكل الملفوظات فحسب، بل بمحتوها كذلك. وهذا يعني إمكانية إنشاء نصوص غير مقبولة، رغم استيفائها لعلاقات الأساق الشكلية"⁽¹⁹⁾.

2. الملاعنة بدلاً من الانسجام: ريجينا بلاص

2.1. نقد مقاربات الانسجام

عقدت ريجينا بلاص في كتابها "علاقات الملاعنة في الخطاب" فقراتٌ لتبيّان الفرق بين النص والخطاب: فالنص يحيل -عندـها- على التعبـيـ الصريح للخطاب⁽²⁰⁾، ومن ثم فهو لساني أو شـكـلي محـضـ، أما الخطابـ فيـحـيلـ علىـ كلـ أفعالـ التواصلـ الـلفـظـيـةـ، ومنـ ثمـ فـلهـ خـصـائـصـ

لغوية وغير لغوية. ولا تلفي لهذا الوضوح شيئاً لدى روبيول وموشلار، إذ يستعملان الخطاب والنص بدون تمييز.

وقد ناقشت بلاص -في معرض انتقادها إعلاة نظريات تحليل الخطاب من دور الانسجام- جملةً من القضايا⁽²¹⁾ يمكن أن نصوغها في شكل الأسئلة التالية: هل يقع الانسجام في صميم النصية؟ وهل يعد كافياً لتحقيق النصية؟ وما الحال الذي تُعدنا به نظرية الملاءمة لقضايا الانسجام والنصية والفهم؟

يؤدي مفهوم الانسجام دورين منفصلين في أدبيات التداولية وتحليل الخطاب. فمن جهة، قيل إنه مفهوم دلالي/تداولي يَسْنُدُ النصية⁽²²⁾، ومن جهة أخرى قيل إنه مبدأ ذهني يتجلى دوره في ملء الفجوات اللغوية من أجل إتمام الفهم (شارول وهوبس)⁽²³⁾. لهذا تناولت بلاص الانسجام في علاقته بالنصية أولاً، وفي علاقته بالفهم ثانياً.

2. الانسجام والنصية

يتحدّد الانسجام، في نظر مُحلي الخطاب، بأنه تماسكُ المحتوى الدلالي أو التداولي، بل إنهم يُعدون الانسجام عنصراً محدّداً للنصية، سواء في الملفوظات الحوارية، أو في النص المؤلّف بقصد. وقد حاولت بلاص الاستدلال على فساد هذه الرؤية⁽²⁴⁾.

لقد فحصت بلاص مقترح هوبس⁽²⁵⁾، في تحديد علاقات الانسجام بين عناصر النص، وفي استخدامها بالتعاقب في تعليم أحكام البناء المحكم للنصوص⁽²⁶⁾. فقد افترض هذا الباحث وجود لائحة نهائية من علاقات الانسجام الخاصة بين القضايا، مستندًا إلى أن النص يجب أن يتضمن بعض علاقات الانسجام، لكي يكون محكم البناء ومتسلباً. وخلصت بلاص⁽²⁷⁾، بعد تحليل علاقة التفصيل Elaboration، إلى أن علاقات الانسجام ليست ضرورية لتحقيق النصية. أما كونها غير ضرورية للنصية، فأبرزت ذلك بالمثال التالي:

أ) أ- هل هو ملحد؟

بـ- هو كذلك، وليس كذلك.

- 1) A- Is he an atheist?
B- He is and he isn't.

الجواب (بـ) متناقضٌ من الناحية الدلالية؛ وهذا التناقض يجعلُ النص غير منسجم، إلا أنه قد يُؤوَّلُ في سياقِ ما باعتباره منسجماً ومقبولاً على السواء. إضافة إلى ذلك فن المستحيل تفسير هذا التأويل بدون الإحالـة على السياق؛ أي على الاعتبارات التداولية بصفة عامة. وتستخلص بلاص: "أن دراسة علاقات الانسجام في نطاق النص ليس كافياً لإنشاء النصية أو اللانصية؛ ولهذا الاعتبار فتحـن في حاجة إلى فحص العلاقة بين النص والسيـاق؛ أي إلى التداولـية"⁽²⁸⁾. وتزيد بلاص الأمر توضيحاً قائلـة: "لا الاتساق ولا الانسجام وحدـهما يُثـرـان التفسـير المناسب للنصـية. فـنـ المـمـكـنـ أنـ نـغـرقـ نـصـاً بـعـلـاقـاتـ الـاتـسـاقـ وـالـانـسـجـامـ،ـ بـيدـ أنهـ قدـ يـكـونـ خـلـوـاًـ مـنـ المعـنـىـ بـالـرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ"⁽²⁹⁾. وتسـتـنـتـجـ: "تمـاماًـ كـاـنـ الـاتـسـاقـ عـرـضـ سـطـحـيـ لـعـلـاقـاتـ الـانـسـجـامـ لـاـ غـيرـ،ـ يـبـدـوـ أـنـ عـلـاقـاتـ الـانـسـجـامـ نـفـسـهاـ عـرـضـ سـطـحـيـ لـشـيءـ أـعـقـمـ يـعـدـ مـفـتـاحـ النـصـيـةـ"⁽³⁰⁾. فـاـ يـعـوـزـ مـقـارـبـاتـ تـحلـيلـ الخطـابـ إـذـاـ هوـ غـيـابـ تـحـديـدـ دـقـيقـ وـمـنـاسـبـ لـلـسـيـاقـ،ـ وـلـعـلـاقـةـ بـيـنـ النـصـ وـسـيـاقـهـ.

هـكـذاـ،ـ اـسـتـدـلـتـ بـلـاصـ عـلـىـ أـنـ عـلـاقـاتـ الـانـسـجـامـ لـيـسـ ضـرـورـيـةـ وـلـاـ كـافـيـةـ لـفـهـمـ اـلـخـطـابـاتـ⁽³¹⁾.ـ وـذـهـبـتـ،ـ مـثـلـ بـلـاكـورـ إـلـىـ أـنـ الـانـسـجـامـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـصـرـ فـيـ إـنـشـاءـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ الـمـلـفـوـظـاتـ؛ـ عـلـىـ الـعـكـسـ مـنـ ذـلـكـ فـهـوـ تـاجـ لـإـنـشـاءـ عـلـاقـاتـ الـمـلاـعـمـةـ بـيـنـ النـصـ وـالـسـيـاقـ؛ـ إـذـ يـظـهـرـ القـاسـكـ بـيـنـ الـمـلـفـوـظـاتـ مـنـتـجاـ فـرعـيـاـ فـقـطـ لـإـنـشـاءـ صـلـاتـ الـمـلاـعـمـةـ بـيـنـ النـصـ وـالـسـيـاقـ"⁽³²⁾.

تشـيرـ بـلـاصـ بـذـلـكـ إـلـىـ الطـبـيـعـةـ التـداـولـيـةـ لـلـخـطـابـ،ـ مـعـتـبـرـةـ أـنـ لـيـسـ مجـرـدـ وـحدـةـ نحوـيـةـ وـدـلـالـيـةـ؛ـ وـهـذـاـ فـ"ـالـمـطـلـبـ الرـئـيـسـ"ـ فـيـ تـأـوـيلـ الـمـلـفـوـظـ لـيـسـ بـالـضـبـطـ اـخـتـيـارـ سـيـاقـ اـعـتـاطـيـ،ـ وـإـنـماـ تـحـديـدـ السـيـاقـ المـقصـودـ"⁽³³⁾.

وإذا كان باحثون كَراشيل جيورا⁽³⁴⁾ وطانيا رينهارت⁽³⁵⁾ قد ربطوا الملاعنة بمفاهيم الموضوع (Topic)، أو العناية (Interest) أو الانشغال (Concern)، فإن التوجه -في إطار نظرية الملاعنة- كان إغفالً مكانة الصلة بين الموضوع والانسجام أو إضعافها، لذلك تعلن بلاص أن الانسجام في الخطاب لا يرتبط بظاهر من قبل الحديث عن الموضوع ذاته، كما يوضح هذا المثال الذي قدمته:

أ- ماذا قالت سوزان؟

ب- لقد أُسقطت محفظتك.

2) A- What did Susan say?

B- You've dropped your purse.

يُحتمل المثال أعلاه تأويلين ممكِنين؛ إما أن الرسالة التي تلفظ بها (2 ب) هي ما قالته سوزان بالفعل، وإما أنها ليست جواباً عن سؤال مخاطبها، ولكنها في الوقت نفسه ملائمة، لأنها تُنبع آثاراً سياقية. وبهذا، فإن الحوار السابق يخرق مبدأ "مواصلة الحديث عن الموضوع ذاته" الذي يُعدُّه بعض الباحثين شرطاً ضروريًا لانسجام الخطاب، ومع ذلك يظل ملائماً بما يكفي ليصير مفهوماً.

قادتْ مثلُ هذه الأمثلة بلاص إلى القول: إن الانسجام تابع للملاعنة. وفي كل الأحوال، ليست بنية الجملة ولا الانسجام ما يجعل حواراً ما ذا معنى، بل ملاعنته في سياق مُحدَّد: "ذلك لأن للسياق أثراً حاسماً في الكيفية التي تفهم بها المفظات، وليس ممكناً أن نرى الربط بين علامة وأخرى بدون اعتبار السياق الذي تعالجان فيه"⁽³⁶⁾.

وبناءً على ما سلف افترضت بلاص-على غرار سبيربر وويلسون وبلاكمور- أن الملاعنة أطروحة قاعدية ضمنية تحكم في الخطاب⁽³⁷⁾. وقد سعت في تحليلها إلى الإجابة عن سؤالين: أولهما، ما المدى الذي تُعدُّ به علاقات الانسجام مشفرة دلاليات؛ وثانيهما، ما دور

السياق في انتقاء المتكلّم علاقَةً انسجامٍ محددةً؟ يؤدي السياق في نظرها دوراً يتجاوز ما تُقرّ به نظرياتُ الخطاب، إذ لا ينحصر في ملء فراغات المعلومة الضمنية التي يجب أن يسترجعها المرسلُ إليه من طريق السياق.

2. 3. الانسجام والفهم

تنطلق بلاص من الفكرة الشائعة والمقبولة بصورةٍ واسعةٍ لدى مقاربات تحليل الخطاب؛ ومفادها أن الفهم يتوقف على تعرُّف علاقاتِ الانسجام أو وضعها عند الضرورة⁽³⁸⁾. فقد سَلَمَ بعض الباحثين بوجود مبدأ خاص بالانسجام، مثل مشيل شارول الذي يقول: "في حالة وجود مشكلات في تحصيل انسجام خطابٍ ما، يتدخل مبدأ استكشافي عامٌ، مفاده أن الناس يميلون إلى اعتبار الخطابات كلّها منسجمةً، لأن لها هدفاً تسعى وراءه"⁽³⁹⁾. وقد قارن هذا المبدأ العام (أو قاعدة الانسجام) بمبدأ التعاون لدى غرايس.

لكن، ما رد بلاص على هذه الآراء المندرجة في مقاربة الانسجام؟
كان استدلالُها على إمكان تأويل الملفوظات المفردة والجمل الأولى في الخطابات، هو الاستدلال عينُه الذي نجده لدى روبيول وموشلار. فالملفوظات المفردة - كما في المثال الآتي - تطرح مشكلةً تأويليةً على من يعتبر الانسجام عنصراً حاسماً في تحقق الفهم:
3- مربُضٌ ممنوعٌ على غير البناء.

3-Parking prohibited for non-customers.

لا يتضمن هذا الملفوظ علاقاتِ انسجامٍ داخليةٍ ظاهرةً، وليس هناك نص سابقٍ أو لاحقٍ ينسجم معه. لهذا الاعتبار، مِنْ "غير الواقعِ التفكير في أن الملفوظات المفردة تؤولُ بمبادئ مختلفة كلياً عن النص الطويل"⁽⁴⁰⁾. ومن الصعب كذلك فهمُ كيف تفسّر الملفوظات الأولى من النص ضمن مقاربة مؤسسةٍ على الانسجام. لكن الملاحظ أن ملفوظات الخطاب الأولى كما في المثال التالي وفي مستهل الكتب تؤولُ تأويلاً ملائماً:

4- مرحبا، أنت تبدو مرتاحاً.

5- الكل يعرف أن هذا صحيح: لا بد أن رجلاً أعزب يمتلك ثروةً جيدةً يحتاج إلى زوجة.

(جين أوستن: كبرباء وهي).

5- It is truth universally acknowledged that a single man in possession of a good fortune must be want of a wife.

(Jane Austen: *Pride and prejudice*)⁽⁴¹⁾.

فإذا كان بالإمكان تأويل الملفوظات الأخيرة في النصوص عبر تعرف علاقات انسجامها مع الملفوظات السابقة، فمن غير الواقعي افتراض أن مُستمع ملفوظات الخطاب الأولى يؤجل تأويله حتى يتأتى له إنشاء علاقات انسجام بالملفوظات اللاحقة⁽⁴²⁾. لهذا تستخلص بلاص أنه من الواقعي أن نفترض أن ملفوظات الخطاب الأولى تُؤول بمبادئ تنطبق على الملفوظات المفردة.

ولا يمكن مبدئياً تطبيق مقاربة الانسجام على هذين الضربين من الملفوظات (المفردة والأولى في أي خطاب). ونرى أن هذا الاستدلال الذي دافع به بلاص عن طرحها أصل لما ذهب إليه روبيول وموشلار في وجود نظرية واحدة لتأويل الملفوظ والخطاب، لا نظريتين تختصان بكل واحد منها.

*أستاذ باحث، المدرسة العليا للتربية والتكتون، جامعة ابن زهر، أكادير.

¹-A.R. Moneva (2010), «Relevance theoretical versus pragmatic and cognitive approaches to coherence : A Survey ». *Cognitive Linguistics*, Vol. 8 Issue 1, pp.19-65.

²-D. Sperber, D. Wilson (1995), *Relevance: Communication and Cognition*, 2nd Ed. Oxford: Blackwell.

- صدرت ترجمة لهذا الكتاب المؤسس إلى اللغة العربية، يمكن للقاريء أن يعود إليها للاطلاع على منطلقات نظرية الملاءمة (نظرية الصلة) ومبادئها وفرضياتها:
- دان سبيربر وديدرى ولوسون نظرية الصلة أو المناسبة، في التواصل والإدراك، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط.1، 2016.

³- Ibid., p. 289.

⁴- D. Wilson & D. Sperber (1981), «On Grice's theory of conversation». P. Werth (Ed.), *Conversation and Discourse*, London: Croom Helm, p.169-170.

⁵- A. Reboul, et J. Moescher, (1998), *Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'enoncé à l'interprétation du discours*, Armand Colin, Paris.

- وقد صدرت ترجمة لهذا الكتاب إلى اللغة العربية وتعليق عليه للحسن بوتكلائي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن ط. 1، 2020.

⁶- ينظر مؤلفها:

- (1987), *Semantic Constraints on Relevance*, Oxford: Blackwell.

- (1988), «The organization of discourse». *Linguistics: The Cambridge Survey*, F. Newmeyer (Ed.), Vol. IV: The Socio-Cultural Context (pp. 29–50). Cambridge: Cambridge University Press.

⁷- تُنظر كتابتها الآتية:

- (1986), «Cohesion, coherence, and relevance». *Notes on linguistics* 34, 41-46, Dallas: SIL.

- (1990), *Relevance Relations in Discourse: A study with special reference to Sissala*, Cambridge:Cambridge University Press.

- (1993), «Are there logical relations in a Text». *Lingua*, 90, 91–110.

⁸- D. Blakemore, (1987), *Semantic Constraints on Relevance*, Basil Blackwell, Oxford, P. 55.

⁹- D. Sperber et D. Wilson (1989), *op. cit.*, p.148.

¹⁰- A.R. Moneva (2010), *op. cit.*, pp.19-65.

¹¹- Ibid., pp.19-65.

¹²- D. Blakemore (1987/2001), «Discourse and Relevance» *The Hanbook of Discourse Analysis*, Deborah Schiffrin, Deborah Tannen et Heidi E. Hamilton (eds), Blackwell Publishers, 1 published, p-p. 100-101.

¹³- Ibid., p-p. 100- 101.

¹⁴- ينظر للمزيد من الاطلاع:

- J.R. Hobbs

- (1978), «Why is discourse coherent?». *Technical Note* 176, november 30.
- (1979), «Coherence and coreference». *Cognitive Science*, 3, pp. 67–90.
- (1985), «On the coherence and structure of discourse». L. Polanyi (Ed.), *The Structure of Discourse*, Norwood: Ablex Publishing Co, pp. 1–35.

¹⁵- J.R. Hobbs (1985), *op. cit.*, p. 22.

¹⁶- Ibid., p. 15.

¹⁷- ينظر القسم الأول من: - روبول آن وموشلار جاك، تداولية الخطاب: من تأويل المفهوم إلى تأويل الخطاب، ترجمة

وتعليق: لحسن بوتكلائي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط. 1، 2020.

¹⁸- D. Blakemore (1987/2001), *op. cit.*, p. 102.

¹⁹- Ibid.

²⁰- يعود هذا الرأي إلى فان دايك، ينظر مادة "Texte" في موسوعة *Universalis*

²¹- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p-p. 17-24.

²²- P. Werth (1984), *Focus, Coherence and Emphasis*, Croom Helm, London, p. 89.

²³- ينظر:

- M. Charolles (1983), «Coherence as a principle in the interpretation of discourse». *Text*, 3 (1).
- J.R. Hobbs (1979), *op. cit.*, pp. 67–90.
- ²⁴- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p.17.
- ²⁵- J.R. Hobbs (1979), *op. cit.*, pp. 67–90.
- ²⁶- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p.18.
- ²⁷- Ibid., p. 19.
- ²⁸- Ibid.
- ²⁹- Ibid.
- ³⁰- Ibid.
- ³¹- Ibid.
- ³²- A. R. Moneva (2010), , *op. cit.*, p. 25.
- ³³-R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p. 95.
- ³⁴- R. Giora
- (1985a), «Notes towards a theory of text coherence». In *Poetics Today*, 6, 699-715.
 - (1985b), «What's a coherent text?» E. Sözer (Ed.), *Text Connexity, Text Coherence. Aspects, Methods, Results*, Hamburg: Buske, pp. 16-35.
- ³⁵- T. Reinhart (1980) «Condition for text coherence». *Poetics to day*, 1/4, 161-180.
- ³⁶- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p.77.
- ³⁷- Ibid.
- ³⁸- Ibid., p. 20.
- ³⁹- M. Charolles (1983), *op. cit.*, pp.71-91.
- ⁴⁰- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p. 21.
- ⁴¹- رواية رومانسية لجین اوستن، نُشرت أول مرة سنة 1813. وتسرد الأطوار العاطفية للبطلة إليزابيث بینیت، التي أدركت الخطأ في إصدار أحكام متسرعة لخلصن إلى وجوب اعتبار الفروق بين المظاهر والأمور الجوهرية في الحياة. تُرجمت إلى اللغة العربية، ضمن سلسلة روايات القصص العالمية؛ بدون مترجم وبدون تاريخ.
- ⁴²- R. Blass (1990/2006), *op. cit.*, p. 21.